المصطلح الفلسفي و المنطقي
في فكر الفارابي

بلعز كريمة/ جامعة سعيدة

أدرك الفارابي منذ فجر الفكر الإسلامي أن البحث الفلسفي لكي يكون مقبولا فلابد أن تكون ألفاظه شائعة متداولة في تلك البيئة الثقافية من ناحية وان تكون معاني تلك الألفاظ مألوفة ومتوافقة إلى حد ما مع ما يكتنزوه من تراث لغوي وثقافي ، ولذا فقد كان الفارابي يستغرق في شرح معاني الألفاظ الفلسفية على . مستوى استخدامه اللغوي.كما كان يشرع في شرح معاني تلك المصطلحات فلسفيا، كذلك قدم تحديات منطقية للأدوات والمفاهيم النحوية، وعمم ذلك على المصطلحات النحوية والفلسفية ، ونبه إلى الفرق بين المصطلحات النحوية والمنطقية.

ولذا فقد أشار كثير من الباحثين والمستشرقين إلى الدور الرائد للفارابي في هذا المجال مؤكدين منهجيته وجهوده في صياغة المصطلح الفلسفي .صحيح أن المصطلح الفلسفي -في تطوره منذ الانفتاح على الثقافات الأجنبية -قد مر بمراحل على يد مدرسة "حنين بن إسحاق"[1] و"جابر بن حيان" و"الكندي" قبل أن يستقر عند الفارابي ، ولكننا نستطيع القول بأنها كانت محاولات بدائية شرعت في وضع رسائل للحدود والمصطلحات كمحاولة لتقريبها لأذهان العرب، وكانت

[1]هو أبو يعقوب إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي من أشهر أطباء عصره وكان رياضيا وهو أصغر أولاد حنين ولكن بفضل معرفته للغات وحسن ترجمته نال شهرة أبيه وكان معاصرا لإبن الرومي وكانت مكانته كبيرة عند الخلفاء الثلاثة، المتوكل والمعتمد والمعتضد وأصابه شلل نصفي توفي على إثره،ببغداد سنة 910م.مؤلفاته:كتاب الأدوية ، كتاب الإصلاح، آداب الفلاسفة...

تمثل مرحلة النشأة والتكوين ، أما مرحلة النضج الفلسفي وتثبيت تلك المصطلحات والاهتمام بالشروح الوافية لمعاني المصطلح العلمي والفلسفي في العربية وفي لغات أخرى غير العربية والتعريف بما قام به المترجمون وصلتها بلمعاني العلمية .فلا شك أننا سنجدها بتوسع وعمق عند فيلسوفنا أبو نصر الفارابي مما كان له أثره الكبير على من جاء بعده من المفكرين والفلاسفة الذين صدروا مؤلفاتهم برسائل خاصة في الحدود والمصطلحات ككتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي ومفاتيح العلوم للخوارزمي ، ورسالة الحدود لابن سينا ، وأيضا للغزالي ...الخ **تطور المصطلح الفلسفي حتى الفارابي:**

واجه المترجمون وأوائل الشارحين مشكلة المصطلح الفلسفي ، بان نقلوه بادئ الأمر نقلا آليا لافتقادهم إلى المرادفات التي تتطابق ومعناها ، وإذا كانت قضية المصطلح الفلسفي لم تشغل بال هؤلاء المترجمين حتى غدت تقليدا متبعا ، وبحيث إنهم لم يميزوا بين مختلف معاني اللفظ الواحد وتدرجاته الطبيعية والمنطقية والإلهية والماورائية ، بل إن الفلسفة اليونانية نفسها لم تصل إلى العرب صافية ، وإنما حددتها عقلية المترجمين الذين عكسوا في النصوص المنقولة جوانب من حضاراتهم ودياناتهم ، وبنى لغاتهم السريانية والعربية –فان فلاسفة العرب واجهوا النصوص الفلسفية بمنطقها وماورائيتها وانقسموا إلى فئات واتجاهات متباينة.

غير أننا نستطيع القول بان مرحلة النشؤ والتكوين والتي تحمل عبئها المترجمون ، وجابر بح حيان والكندي .قد واجهوا المشكلة من خلال جملة تعاريف وتحديدات وتحليلات لغوية لمختلف المصطلحات الفلسفية خاصة وان اللفظة الفلسفية في اللغة العربية كان لها – لغويا- معنى أو أكثر خاص بالعربية لم تعهده في معظم الأحيان المضامين المعنوية اليونانية ، مما جعل للفظ الواحد ثلاثة

أبعاد[2].يتمثل الأول في المعنى اليوناني، والثاني في المعنى العربي ، والثالث مزيجا من الاثنين بعد أن طغى عليه الطابع اللغوي فترة طويلة ولكنه طور بعد ذلك .كانت هذه هي حال كل مصطلح نشا في ظل الترجمات والبدايات الأولى لدمج الفلسفة في بنية العقلية العربية .فهو إما أن يجمع بين المعنى اللغوي واليوناني والعربي، وأما إن يجمع بين المعنيين والمعنى الديني الإسلامي مما أسفر عن ظهور طائفة من الألفاظ الفلسفية الجديدة وكانت محاولات فلاسفة هذه المرحلة تسعى إلى تثبيت اللفظ الفلسفي -العربي وهي مرحلة اتصفت بنقل اللغة من حالتها العامية المعنوية - إلى حالة التفكير المنظم وكان من نتائجها تداخل المنطق والفلسفة بالنحو والكلام والفقه.

أما مرحلة التثبيت والتركيز والنضوج واليت يمثلها الفارابي ومن جاء بعده من الفلاسفة كابن سينا والخوارزمي والغزالي ...الخ فقد برزت فيها استقلالية اللغة الفلسفية ، وتبلور الألفاظ ومعانيها من خلال تركيب الجمل وبخاصة في علم المنطق وما بعد الطبيعة ، فالمصطلحات مصنفة وفقا للمواد الفلسفية والتحديدات تجاوزت الرسوم، بل إن الألفاظ الفلسفية تداخلت مع ألفاظ العلوم الأخرى ونضجت اللغة الفلسفية بمضامينها ومعانيها ومرادفاتها "[3] وإذا حاولنا أن نستقرأ جهود المفكرين العرب الأوائل في هذا المجل فسنجد أن أقدم هذه المحاولات..إنما تعود إلى جابربن حيان (ت 200ه/810 م) وخاصة في رسالته "الحدود" التي حققها "بول كراوس" إذ أن محتويات هذه الرسالة تتكون من أربعة موضوعات رئيسية هي :

*توطئة في الحد *تقسيم العلوم

*حدود العلوم *حدود الأشياء

---

[2] - د.جرار الجهامي : الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية، دار المشرق بيروت، دط، 1994 ص 35 .

[3] جيرار جهامي : نفس المرجع السابق،ص ص 75-87.

وواضح من هذا الترتيب إن جابر يبدأ ببيان مفهوم الحد الذي سيكون توطئة لبيان حدود العلوم المختلفة بعد تقسيمها ، وعليها يستند في استخراج حدود الأشياء وهذه الرسالة تكشف بدقة عن المصطلح الفلسفي في عصر جابر إذ ضمنها 92 حدا مبوبة على الشكل الأتي : فهي إما مضافة إلى علم وعددها 45 مصطلحا ، وإما مجردة من الإضافة وهي 46 مصطلحا وقد سبقها مصطلح الحد ، ولكنه يتناول 43 مصطلحا في ثنائية واضحة نذكر منها :

الحد المحدود	الرطوبة اليبوسة
الدين الدنيا	الفلسفة العلوم الإلهية
الشرع العقل	الفلسفة الباطن
الحروف المعاني	الفلسفة المنفعل
الطبيعة الروح	الحسي المحسوس
النور الظلمة	الحركة المتحرك
الحرارة البرودة	النفس الطبيعة
الحجر الجوهر	البسيط المركب

ولقد أدرك جابر في استعماله هذه المصطلحات علاقة الألفاظ بالمعاني فهو مثلا يحد العلم العقلي بأنه "علم ما غاب عن الحواس ـ وتحلى بع العقل الجزئي من أحوال العلة الأولى وأحوال نفسه وأحوال العقل الكلي والنفس الكلية والجزئية فيما يتعجل به الفضيلة في عالم الكون ، ويتوصل به إلى عالم البقاء".

أما علم الدين فانه صور يتحلى بها العقل ليستعملها فيما يرجو الانتفاع به بعد الموت " وعلى ذلك فصفة العلم مطلوب الانتفاع به بالضرورة ما بعد الحياة وواضح هنا في كلام جابر بن حيان الفروق بين علم الدين وعلم الدنيا [4]

ويعرف العلم الفلسفي بقوله " العلم بحقائق الموجودات المعلولة لما أما العلم الإلهي فهو " العلم بالعلة الأولى وما كان عنها بغير واسطة أو بوسيط واحد فقط " [5]

ويؤكد د. عبد الكريم الأعصم أن جابر بن حيان أول من استعمل التعريف الحرفي للألفاظ التي لم يجد لها مقابلا في العربية كما في استعماله مصطلح "هيولي "بمعنى المادة التي نجدها عند ارسطو طاليس Hyle ومصطلح ماوراء الطبيعة تعبيرا عن معنى Ta meta ta Fusika والتعبير الأرسطي لمباحث Metaphysica. [6]

ومن المؤكد أن" جابر بن حيان" حين نقل المصطلح الفلسفي عن اليونانية نقله كما هو نقلا أليا لافتقاره إلى المرادفات في تلك المرحلة ، ولم يستطع أن يميز بين مختلف معاني اللفظ الواحد وتدرجاته الطبيعية والمنطقية والإلهية و والماورائية مثل لفظة الهيولي الذي كان له عند ارسطو أكثر من معنى وبعد لم تستوعبها عقلية جابر بن حيان في ذلك الوقت.

ثم تأتي المحاولة الثانية في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وبالذات مع "أبي يعقوب يوسف بن إسحاق الأشياء الكندي " الذي ترك لنا رسالة هامة تسمى " في حدود الأشياء ورسومها " وقد ضمنها تحديدات أحيانا مباشرة وأخرى غير مباشر لمختلف المضامين الفلسفية والمنطقية في ميادين الطبيعيات والمنطقيات والإلهيات والنفسانيات ...الخ وعلى سبيل المثال فقد اهتم بتحديد

---

[4] د.عبد الأمير الاعثم : المصطلح الفلسفي عند العرب الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 20 من المقدمة .

[5] جابر بن حيان ،رسالة الحدود ص 172.

[6] د. عبد الأميرالاعثم : نفس المرجع السابق، ص 27.

معنى المطالب العلمية الأربعة "هل ، وما ، وآي ، ولم ، وكذلك تحديد معاني الكليات الخمس مجتمعة تحت مقولة الجوهر ومقابلها العرض ، كما اهتم بتحديد الوحدة بواسطة مقابلها أو بواسطة التحديد بالسلب أو بالتقسيم أو بالتحليل والتأليف.

ورغم جهود الكندي في هذا المجال إلا انه اصطدم بخصوصية اللفظة الفلسفية في اللغة العربية ، إذ لها لغويا معنى أو أكثر خاص بالعربية ، لم تعهده في مضامينها المعنوية اليونانية ، وبذلك أضحى للفظ الواحد ثلاثة أبعاد يتمثل الأول بالمعنى اليوناني ، والثاني العربي ، والثالث وقد أصبح مزيجا من الاثنين معا7 .كما ذكرنا سابقا.

وكانت هذه حال كل مصطلح نشا في ظل الترجمات ليجمع ما بين المعنى اللغوي اليوناني والعربي ، أو ليجمع بين المعنيين وذاك المعنى الديني الإسلامي مما أسفر عنه ولادة طائفة من الألفاظ الفلسفية الجديدة بمعانيها وإبعادها وكانت محاولات الكندي الدءوبة هي تثبيت اللفظ الفلسفي -العربي بالذات .

غير أن كثرة الألفاظ الفلسفية التي ظهرت مع الترجمات وتداخلها مع المفردات اللغوية العربية أرغم الكندي على إتباع نهج النحويين في التخريج اللفظي ، ونقل الاصطلاح عند تعثر الوضع تأدية للمعنى الفلسفي الذي كانت تفتقده في العربية أصلا. وهو تقليد درج عليه التراجمه نظرا لحاجتهم إلى المرادفات والمقابلات من أسماء متواطئة ومتفقة ومشتقة 8

أما الطرق التي اتبعها الكندي في تخريج الألفاظ والمصطلحات الفسلفية فقد تمثلت في محاولة توليد الألفاظ وتحديثها وهي تتلخص في استعمال ألفاظ متداولة يستسيغها اللسان العربي وان هجر بعضها مع تقدم الزمن ونقل مضمونها

---

[7] د.عبد الهادي أبو ريدة .رسائل الكندي الفلسفية ،منشورات عويدات،دط دت ص 50 .

[8] د.جيرار جهامي نفس المرجع السابق، ص ص 38-40.

اللغوي العام إلى مدلول فلسفي خاص مثل لفظ "مقولة ، صورة -فنية - جوهر - عرض -نوع - شخص - عنصر ...

كما تمثلت في نقل بعض الألفاظ وتعريبها واستعارتا مجازا ، وقد استعملها الكندي ومن قبله المترجمون لافتقادهم المرادف أحيانا ، أو شمولية اللفظ لأكثر من معنى أحيانا أخرى .فمثلا لفظ "قاطوغورياس" عرفه انه "على المقولات "ولفظ" بارى ارمنياس "انه" على التفسير "ولفظ" انالوطقا الأولى "انه" العكس من الرأس"وانالوطيقا الثانية "انه الإيضاح وطوبيقا "مواضع القول.9

كما لجا الكندي إلى طريقة الاشتياق والنحت وهما يكملان الطرق السابقة تأدية للمعنى الفلسفي فقد استخدم لفظ "الايس" الذي كان شبه مهجورا في العربية (بمعنى الوجود وهو بحاجة إلى موجد فاشتق منه " المؤيس" الذي فعله التأييس ومن هنا ظهر قول الكندي في الفاعل الأول انه مؤيس الايسات المسائل الفلسفية وكيفية السؤال عنها مثل "ما" الباحثة عن الجنس وعنها لفظة الماهية المركبة مع الضمير هو واشتقاق الكمية من لم في البرهان العلي ، والكيفية من مقولة الكيف ، والكمية من الكم 10.

وعموما فقد استطاع "الكندي" أن يحدد 109 مصطلحا فلسفيا، منها 45 مصطلحا لم يعرفه" جابر بن حيان" من قبل ولم يعرضها في رسالته الحدود.وإذا كانت رسالة جابر تمثل مرحلة نشوء المصطلح وبدء التعامل به في لتعبير الفلسفي ، فان رسالة الكندي توضح قدرته على تكوين المصطلحات واتساع دائرتها وإسهامه في تعريب وترجمة الآثار اليونانية .وعلى سبيل المثال فإننا نجد لديه في استعماله الاشتقاق الحسي فهو يستعمل منه المحسوس ، والقوة الحساسة والحاس 11.وكذلك حد الفلسفة فقد أعطانا جابر حد العلم الفلسفي ، وحد الفلسفة ،

---

[9] الكندي : رسالة كمية كتب ارسطو طاليس وما يحتاج اليه في تحصيل الفلسفة ص 365-367.

[10] ، د.جيرار جهامي : الإشكالية اللغوية ص 44-46.

[11] الكندي ،رسالة الحدود والرسوم للكندي تح أبو ريدة، منشورات عويدات،دط،دت، ص 192-193.

أما الكندي فقد أعطانا خمسة حدود للفلسفة 12، وإذا كان تعريب الألفاظ عند جابر محدودا ، فان الكندي قد توسع فيه ووجدنا في رسائله المزيد منه مثل الفنطاسيا fantasia، والقاطيغورياس Katiagoia، والاسطقس Stoicheion.

وعموما فإننا سنلاحظ أن تكوين هذه المصطلحات التي سينتهي بنهاية القرن الثالث ، سيتحول إلى تحديد هذه المصطلحات تحديدا دقيقا في فلسفة أبي نصر الفارابي وفلاسفة القرن الرابع الهجر عندما ازدهرت مباحث الألفاظ ازدهارا واسعا ، فإذا كان عمل الكندي ممثلا للغة الفلسفية إبان عصر الترجمة ، فان لغة الفارابي هي لغة الفلسفة بعينها.13

وإذا كان الكندي قد اضطر إلى النقل والاستعارة ليواجه مشكلة إنشاء لغة فلسفية ضمن اللغة العربية التي لم تكن مهيأة لتقبل البعد الفلسفي في شقيه النظري والعملي مما اضطره إلى ترك رسائل يحدد فيها مرادفات تؤدي الغرض وخاصة في كتابه "الحروف" و"الألفاظ المستعملة في المنطق " فانتقلت وضوحا حيث ركزت الألفاظ وأفردت وصنفت وفقا للمواد الفلسفية ذاتها.

على انه من الضروري أن ننظر دائما إلى اللغة الفلسفية قبل زمان الفارابي على أنها لغة فلسفية تتعامل مع مصطلحات يونانية فتستجد من خلال الترجمات والتعريب والتأليف مسائل على جانب معنى فلسفي كما وضح لنا ذلك في أعمال جابر بن حيان ، والكندي، وكما ظهرت ف ترجمات مدرسة حنين بن إسحاق وهي مرحلة يمكن اعتبرها مرحلة تمهد وتأسيس لصياغة لغة فلسفية متكاملة.

---

[12] يقول الكندي في رسالة الحدود والرسوم "الفلسفة حدها القدماء بعدة حدود (1) أما من اشتقاق اسمها وهو حب الحكمة ...(2) وحدها أيضا من جهة فعلها فقالوا : إن الفلسفة هي التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان ...(3) وحدها من جهة فعلها فقالوا : العناية بالموت ...(4) وحددها ايضا من جهة فقالوا : صناعة الصناعات وحكمة الحكم ، (5) وحددها أيضا فقالوا : الفلسفة معرفة الإنسان بنفسه ، ويستفيض الكندي في شرح كل تعريف ثم يذكر ما يحد به عين الفلسفة من انه علم الأشياء الأبدية الكلية انايتها ومائياتها ، وعللها بقدر طاقة الإنسان (ص 197-198).

[13] د. عبد الأمير الأعثم : نفس المرجع السابق،ص 40-41.

أما اللغة الفلسفية الدقيقة بألفاظها الدالة على معان أكيدة ، فإننا سنجدها بعد ذلك عند الفارابي ومن جاء بعده من المفكرين ك ""أبي حيان التوحيدي" والذي جمع لنا عشرات التعريفات الفلسفية في كتابه المقابسات 14 والخوارزمي 15 الذي وضع أكثر من 108 مصطلحا في كتابه "مفاتيح العلوم " تمثلت في ألفاظ مخترعة ، وألفاظ معربة ، وسوف نلاحظ أن معرفة الخوازمي وتحديده لكيفية ظهور المصطلحات لم تكن مستمدة من كتب الكندي بقدر تأثرها الفارابي وخاصة يحي بن عدي الذي كان على رأس مدرسة بغداد في القرن الربع الهجري16 .

2- جهود الفارابي ودروه في صياغة المصطلح الفلسفي :

ماهو الدور الأساسي الذي قام به الفارابي في مجال المصطلح الفلسفي من حيث تعميمه ونشره ؟ وكيف تطور المصطلح الفلسفي على يده ، وما هو المنهج الذي تبعه في صياغة مصطلحات تتلائم مع طبيعة البيئة الفكرية العربية ؟ وكيف تحولت تلك المصطلحات إلى أن أصبحت مفاهيم متداولة ولغة خاصة انتشرت واستقرت وأسهمت في ازدهار حضارة واعدة ؟

أدرك الفارابي منذ فجر الفكر الإسلامي أن البحث الفلسفي لكي يكون مقبلا ومفهوما فجب ا يقدم له بتوضيح لغوي ، وان الإحاطة اللغوية ضرورية للعمل في الفلسفة ، ويميز بين معاني اللفظ الواحد ويبين تدرجاته الطبيعية والمنطقية والماورائية 17 فلم يعد المقصود مع الفارابي ، اللفظ بحد ذاته ، إنما المعنى المطابق للحد والتصور أو البرهان الفلسفي ، وهذا الموقف قلب نظم العلاقة بين اللفظ والمعنى عند النحويين ، فأصبح المعنى متصدرا المقام الأول وان كان لا ينفي أولوية مصدر المعان الطبيعي - الحسي - إذ يعكس أصل

---

[14] المرجع السابق،،ص43

[15] المرجع نفسه،،ص 37 ،

[16] الخوارزمي . مفاتيح العلوم ص 2.

[17] د.عبد الامير الاعثم : المصطلح الفلسفي عند العرب ص 10-12.

اللغة بيئة اللسان الأم ، لكن ألفاظها تحمل ازدواجية في المعنى ومقولاتها .فالجوهر ، والعرض ، والموجود ، والشيء كلها ألفاظ مشتقة من واقع مادي وبعدها الفلسفي يحاكي المعاني اليونانية ، وان كان يعني أيضا محاكته لأبعاد إسلامية (سواء في الكلام – أو الفقه أو التصوف).

ولا شك أن هذا التلاقي في ثنايا اللفظ أو الحرف الواحد – جعل الفارابي يهتم بتحليل مضمونه لغويا وفكريا ، فهو مثلا – وكما مر بنا – حين كان يعرض حروف السؤال التي هي خطيبتة أو جدلية المنحى (ما – أي – كيف – هل) فانه كان يرتبها حسب دلالتها المنطقية والفلسفية ، وهذا بعد جديد يضاف إلى معاني هذه الحروف العادية ، ويفتح الذهن العربي على تراكيب ورابط جديدة ، وصياغات فلسفية للسؤالات ، وليس هذا فحسب ، بل انه كان يحلل مكانه هذه الحروف في العلوم المحيطة بالمطلوبات البرهانية كالطبيعيات والرياضيات ، والإلهيات ، ويهدف من ذلك إبراز شمولية معانيها لأكثر من علم وصناعة عامية وقياسية 18.

ومن الملاحظ علوما جديدة قد ظهرت في الأمة الإسلامية بعد نقل الفلسفة وعلوم الأوائل كعلم الكلام والتصوف ، كما ان هناك علوما كانت قائمة ولكنها أصبحت أكثر اتساعا وعمقا كالفقه والأصول ، وكان لهذه العلوم تأثيرا كبيرا في العربية كما كان لها تأثيرها في العلوم العقلية فتنوعت ألفاظها وأحدثت فيا ألفاظا جديدة كالكون ، والقدم ، والحدوث ، والحركة والسكون والوجود والعدم والطفرة والأجسام والأعراض والايس والليس ...الخ .

ولذلك فقد اهتم الفارابي بتتبع تاريخ المصطلحات ونشأتها وتطورها لأنه أراد أن يشرح معاني المصطلح الفلسفي في العربية وغيرها من اللغات ، أراد أن يعرف كيف انتقل المصطلح من اليونانية والسريانية إلى العربية ، وكيف تسرب المصطلح من أصله وهو معنى عام ليتحول إلى معنى اصطلاحي خاص.

---

[18] الفارابي الحروف تحقيق محسن مهدي ،دار المشرق بيروت، ط1986،2،ص 204 -213.